مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 25 العدد:2 السّنة: الثّلاثي الثّاني 2023 ص: 357-368

النّفخ في الصّور بين القرآن والسّنة وتعدّد القراءات والرّؤى

Blowing in Es-sour between the Qur'an and Sunnah, and the multiplicity of readings and visions

أ. عبد الغاني بن شعبان*

تاريخ الاستلام: 02-12-2021 تاريخ القبـول: 06-03-2022

ملخّص: يحاول هذا المقال البحث عن معنى كلمة "الصّور" التي جاءت في عشر آيات من القرآن الكريم، انطلاقا من رصد الآيات ثمّ وضع مخطّط شامل لها عبر ترتيبها داخل جدول، ثمّ معرفة أهم الآراء التي خرج بها المفسّرون، من خلال قراءتهم للآيات، حيث أنقسم المفسّرون على رأيين، رأي يرى بأنّ "الصّور" هي جمع صورة، بينما الرّأي الثّاني، فهو الذي يرى بأنّ "الصّور" هو القرن أو البوق الذي ينفخ فيه إسرافيل يوم القيامة، ليتمّ بعدها الخروج بخلاصة بعد تحليل الجدول والآيات، التي تسير مبدئيا مع الرّأي الأوّل القائل بصيغة الجمع.

كلمات مفتاحيّة: لغة؛ دراسات؛ قرآنيّة؛ نفخ صور.

Abstract: The article tries to search for the meaning of "Es-sour, a word that appeared in ten verses of the Holy Quran starting from listing the ayahs, then laying out a comprehensive out line, for their description and finally tackling the most important views about their meanings. One view sees "Es-sour" as the plural of "Soura" which means "image". While the other sees "Es-sour" as the trumpet or horn into which Israfil will blow to announce the day of Resurrection. The conclusion, after analysing the ayas went for the first view.

Keywords: Language; Studies; Quranic; Blowing; Es_sour.

* - قسم التّرجمة كليّة الآداب واللغات جامعة قسنطينة 1، الجزائر.
البريد الإلكتروني: benchabane.abdelghani@umc.edu. (المؤلّف المرسل).

1. المقدّمة: هي صورة من صور القرآن الكريم التي صوّر بها الله سبحانه وتعالى طريقة البعث وأهوال يوم القيامة فكانت من الغيبيات التي بَعُدَ مفهومها عن فكر الإنسان وتصوّره فلم يدرك مدلولها ومعناها فأدّى به الامر إلى الاختلاف اختلاف للدّارسين والمفسّرين في فهم معناها فيفترق الجمع على فريقين، والامر يتعلّق هنا بـ (النّفخ في الصّور) ففريق يرى بالقرن وله أدلّته وفريق يرى بصيغة الجمع وله أدلّته.

ومن هذا المنطلق جاء التّفكير في رصد أهمّ ما قيل في هذا الموضوع من خلال طرح عديد التّساؤلات ومحاولة التّعليق عليها أو الإجابة عنها إن أمكن وتقديم قراءة انطلاقا من البنيّة اللغويّة للآيات التي ورد فيها لفظ "الصّور".

فما هي الآيات التي ارتبط فيها فعل النّفخ بكلمة (الصّور)؟ وكيف قرأ وفهم المفسّرون هذا الارتباط الموجود بين النّفخ والصّور؟ وما هي الاتجاهات التي درست هذا الموضوع؟ وكيف جاء مفهوم لفظ (الصّور) من خلال قراءاتهم تلك؟ وما هي أهم الآراء المناقشة لذلك وكيف تعامل المفسّرون معها؟ وما هي النّصوص التي اعتمد عليها كلّ طرف من خلال ما جاء في القرآن وفي الحديث النّبوي الشّريف؟ بين القائل بأنّه القرن الذي ينفخ إسرائيل فيه يوم البعث، وبين من يقول بصيغة الجمع لـ(صورة).

ولذلك كانت المنهجيّة المتّبعة هي إحصاء مجموع الصّور التي ذكر فيها التّركيب اللغوي (النّفخ في الصّور)، ثمّ تصنيفها داخل جدول. وقد كان الاعتماد في إحصاء الآيات على برنامج مصحف المدينة وعلى مشروع المصحف الالكتروني بجامعة الملك سعود مع التّأكّد من الآيات في المصحف الورقي.

ومن هذا المنطلق جاءت خطّة العمل في هذا البحث على: إحصاء الآيات التي ورد فيها لفظ (الصّور) والتي اقترن فيها فعل النّفخ مع الصّور، أي مناقشة الآيات التي تعالج موضوعا واحدا، وهو فعل النّفخ في الصّور، لتأتي بعدها مناقشة آراء المفسّرين ثمّ كتب الحديث وشرّاحه ودارسيه، للتأكّد من درجة قوّة ما اعتمدوا عليه من دلائل مع الخروج بخلاصة بعد تحليل التّركيب اللّغوي للآيات.

فكان المنهج ارتباطا بطبيعة تقسيم المقال، منهجا وصفيا تحليليا. جامعا لمختلف المعطيات والقضايا التي تتعلّق بالموضوع واصفا محلّلا لها.

والموضوع مدروس من قبل من طرف المفسّرين والمشتغلين بعلوم القرآن. وأهميّة هذه الدّراسة تكمن في جمع تلك الدّراسات السّابقة والعمل على التّوفيق بينها ومن ثمّة الخروج برأي جمع بينها.

2. الآيات التي ذكر فيها لفظ (الصّور): جاءت كلمة (*الصّور*) في القرآن الكريم في عشر آيات، وفي كلّ الآيات كانت مقترنة بفعل النّفخ الذي جاء بالاستقبال (*يُنفَخُ*) في أربع آيات وجاء في المضي (*نُفِخَ*) في ستّ آيات آيتان منهما لزمهما الشّرط (*إذا*)، ولذلك جاء ترتيب الآيات بالاستقبال والماضي والشّرط كالآتي:

فالاستقبال في:

- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الذي خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام 73].
- ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه 102].
- ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النّمل 87].
- ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النّبأ 18].

ليأتي بعدها الشّرط أي ارتباط النّفخ في الصّور بما يأتي بعده والفعل متصرّف في الماضي:

- ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾[المؤمنون 101] ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[الحاقة 13].

ثمّ الفعل في الماضي دون شرط:

- ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف 99].
- ﴿وَنُفِخَ فِي الصّورِ فَإِذَا هُم مّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبّهِمْ يَنسِلُونَ﴾[يس 51].
- ﴿وَنُفِخَ فِي الصّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[الزّمر 68].
- ﴿وَنُفِخَ فِي الصّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾[ق 20].

المخطّط العام للموضوع الذي تعالجه الآيات السّابقة في هذا الجدول:

وَهُوَ الذي خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ		يوم يُنفَخُ	في الصّور	عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ
				وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا
و				فَفَزِعَ مَن فِي السّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ
				فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا
فإذا		نفخ		فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ
فإذا				نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ
وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ و				فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا
و				فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
و				فَصَعِقَ مَن فِي السّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُون
و				ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ

3. اقتران فعل النّفخ بفعل الإحياء في القرآن: بالرّجوع إلى القرآن الكريم يُلاحَظُ بأنّ فعل النّفخ قد ورد في آيات عدّة، وكلّ الآيات التي جاء فيها تتعلّق مباشرة بفعل الإحياء وبعث الحياة في أجساد المخلوقات. فمثلا هو الحال مع سيّدنا عيسى عليه السّلام في قصته التي خاطب قومه فيها بمعجزة من معجزاته التي أيده الله سبحانه وتعالى بها قائلا ﴿**وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِاية مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَاية لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[آل عمران 49] فالنّفخ هنا متعلّق بإحياء الطّير. ويدعّم ذلك ما جاء في وصف الله سبحانه لعيسى عليه السّلام في قوله ﴿**وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِاية مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَاية لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾[المائدة 110] وإذا كان فعل النّفخ في هذين الآيتين مرتبط بإحياء الطّير في معجزة من معجزات الله سبحانه وتعالى في رسله، فهو في الآيات الآتيّة تجسيد وتصوير مباشر للطريقة التي خلق بها الله سبحانه وتعالى سيّدنا آدم عليه السّلام وبعثه بها إلى الحياة، وذلك ما جاء في قوله تعالى ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[الحجر 29] فما كان في خلق آدم عليه السّلام وبعث الحياة فيه قد تكرّر مع عيسى عليه السّلام، فطريقة خلقهما وبعث الحياة فيهما متشابهة ﴿**إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾[آل عمران 59] فآدم عليه السّلام جاء إلى هذه الحياة من غير توافر الوالدّين الأب والأم، وجاء عيسى عليه السّلام إلى هذه الحياة في غياب طرف من أطراف الإنجاب وهو الوالدّ﴿**وَالتي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا اية لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء 91] فالنّفخ بذلك هو آليّة من آليات الخلق والبعث. ومهما يكن، فالتّصوير هو مرحلة ثالثّة من مراحل الخلق يأتي بعد الخلق والبرّي حيث جاء في قوله تعالى ﴿**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ [الحشر 24] وله القدرة والمشيئة على تركيب خلقه على أي صورة ﴿**فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾ [الانفطار 8] فكانت صورة خلقه في أحسن

حالها ﴿**خَلَقَ السّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ**﴾ **[التّغابن 3].**

4. آراء المفسّرين: من خلال تتبُّعِ آراء المفسّرين، يُلاحظ عليها حديثها عن ذلك الاختلاف بين الرّأيين.

رأي أوّل قائل بأنّ "الصّور" هي جمع "صورة"، من خلال قياس الكلمة على كلمات أخرى مثيلة لها، كجمع "سور" "سور البلد" على "سورة"، وبسرة وبسر، واعتمادا على قول يُنسب للفرّاء يرى فيه بأنّ كلّ جمع على لفظ الواحد المذكور سبق جمعه واحده، فواحده بزيادة هاء فيه، وذلك مثل الصّوف والوبر والشّعر والقطن والعشب فكل واحد من هذه الأسماء اسم لجميع جنسه، وإذا أفردت واحدته زيدت فيها هاء لأنّ جمع هذا الباب سبق واحده. ومن بين الذين ينسب إليهم هذا الرّأي القائل بالجمع أبو عبيدة وابن عباس والحسن البصري. كما اعتمدوا على السّماع في القراءات من بعض مشايخ القرّاء حيث يرون بأنّه هنالك من قرأها "صُوَر" بتحريك الواو.

ورأي ثّان يرى بأنّ "الصّور" هو القرن الذي يُنفَخُ فيه يوم القيامة. والملاحظ كذلك بأنّ أغلبيّة المفسّرين قد رجّحوا هذا الرّأي الثّاني على الرّأي الأوّل، معتمدين في ذلك ومدعّمين رأيهم بالحديث النّبوي الشّريف، والذي مفاده بأنّ الرّسول عليه الصّلاة وأزكى التّسليم قد سُئِل عن الصّور فأجاب بأنّه القرن الذي ينفخ فيه يوم القيامة. وهو حديث يتناقله المفسّرون انطلاقا مما جاء عن الطّبراني في كتابه الأحاديث الطّوال والذي سيتم التّطرّق له عند مناقشة آراء المشتغلين بالحديث. كما يمكن الإشارة كذلك إلى اعتماد أصحاب الرّأي الثّاني على سياق القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿**وَنُفِخَ فِي الصّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾**[الزّمر68]** حيث يرون بأنّه لو كانت كلمة "الصّور" هي جمع "صورة" لقال (ثمّ نفخ فيها) أي بعود الضّمير على الصّور مؤنثا وليس (نفخ فيه) بعود الضّمير على المذكّر. فالضّمير في (نفخ فيه) يعود برأيهم إلى القرن. (ينظر الطّبري ج11 ص462. ابن كثير ج3 ص281. القرطبي ج7 ص20. البغوي ج3 ص157. الرّازى ج13 ص28. الفراءج1 ص340. الأندلسي ج4 ص534. الآلوسي ج4 ص180. النّحّاس ج2 ص447. بن عاشورج6 ص168. الشّعراوي ص2596. سيد قطب ج2 ص1134).

5. ما جاء في الحديث وشرّاحه: انطلاقا ممّا جاء في التّفاسير، يُلاحظ على مجموع المفسّرين القائلين بأنّ (الصّور) هو القرن اعتمادهم على الحديث الطّويل والذي قدّمه ابن كثير في تفسيره حيث فيه إشارة إلى مصدره من الأحاديث الطّوال للطبراني والحديث جاء في باب "حديث الصّور" وهو حديث طويل جدّا ومدخله كالآتي "حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ النّحْوِيُّ الأَيْلِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ الضّحَاكُ بْنُ مَخْلَدٍ النّبِيلُ، قَالَ: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ رَافِعٍ، عَنْ محمّد بْنِ زِيَادٍ، عَنْ محمّد بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله عليه وسلّم وَهُوَ فِي طَائِفَةٍ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا فَرَغَ مِنْ خَلْقِ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ خَلَقَ الصّورَ، فَأَعْطَاهُ إِسْرَافِيلَ، فَهُوَ وَاضِعُهُ عَلَى فِيهِ شَاخِصًا بَصَرَهُ إِلَى الْعَرْشِ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الصّورُ؟ قَالَ: الْقَرْنُ قُلْتُ: كَيْفَ هُوَ؟ قَالَ: عَظِيمٌ، وَالذي بَعَثَنِي بِالْحَقّ إِنَّ عِظَمَ دَارَةٍ فِيهِ كَعَرْضِ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، يَنْفُخُ فِيهِ ثَلاثَ نَفْخَاتٍ، النّفْخَةُ الأُولَى نَفْخَةُ الْفَزَعِ، وَالثّانِيّة نَفْخَةُ الصّعْقِ، وَالثّالِثَةُ نَفْخَةُ الْقِيَامِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ. (الطّبراني ص266).

وبالرّجوع إلى المتخصّصين في الجرح والتعدّيل، تَجِدُ بأنّ محقّق كتاب سير أعلام النّبلاء له قول فيما يتعلّق بهذا الحديث، حيث يرى بأنّ الحديث مطوّل جدا، من طريق إسماعيل بن رافع المدني قاص أهل المدينة، عن يزيد بن أبي زياد، عن رجل من الانصار عن محمّد بن كعب القرظي عن رجل من الانصار عن أبي هريرة، وهذا السّند بالنّسبة إليه متسلسل بالضّعفاء والمجاهيل، فإسماعيل بن رافع ضعيف، وكذا شيخه والرّجلان من الانصار مجهولان، وأورده ابن كثير في "تفسيره" بتمامه من طريق الطّبراني. وبحسبه فقد كذّبه ابن حبّان والدّارقطني واتهمه ابن عديّ بسرقة الحديث، ويستشهد بأبي عاصم النّبيل، وإسماعيل بن رافع عن محمّد بن زياد عن محمّد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه مع ذكر الحديث، ليرى بعدها بأنّ الحديث مشهور وغريب جدا، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاص المدينة، وقد أُختلف فيه، فمنهم من وثقه ومنهم من ضعّفه ونصّ على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرّازي وعمرو ابن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه: هو متروك وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر إلاّ أنّه يكتب حديثه في جملة الضّعفاء. وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة،

وأمّا سياقه فغريب جدا، ويقال إنّه جمعه من أحاديث كثيرة وجعلها سياقا واحدا، فأنكر عليه بسبب ذلك.[2]

ومن بين الأحاديث كذلك التي اعتمد عليها أصحاب الرّأي القائل بأنّ الصّور هو القرن، ما جاء في كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السّنة، وهو حديث مروي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو مفاده "أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ لِلنَّبِيِّ صلّى الله عليه وسلّم: مَا الصّورُ؟ قَالَ: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ»". (الذّهبي ج9 ص364).

ومن الأقوال التي قد تبحث عن التّوفيق بين الرّأيين، ما جاء في كتاب فتح الباري في شرحه لباب نفخ الصّور حيث يقول في ذلك صاحبه: "قلت وقد اخرج أبو الشّيخ في كتاب العظمة، من طريق وهب بن منبه، من قوله قال خلق الله الصّور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزّجاجة، ثم قال للعرش خذ الصّور فتعلق به، ثم قال كن فكان اسرافيل فأمره أن يأخذ الصّور فأخذه، وبه ثقب بعدد كلّ روح مخلوقة ونفس منفوسة فذكر الحديث وفيه، ثم تجمع الأرواح كلها في الصّور ثم يأمر الله إسرافيل فينفخ فيه فتدخل كل روح في جسدها، فعلى هذا فالنّفخ يقع في الصّور أوّلا ليصل النّفخ بالرّوح إلى الصّور وهي الأجساد، فإضافة النّفخ إلى الصّور الذي هو القرن حقيقة والى الصّور التي هي الأجساد مجازا". (العسقلاني ج11 ص367).

ومن بين ما قيل في "الصّور" كذلك عند أهل الحديث وشرّاحه، ما جاء في كتاب "ضعيف التّرغيب والتّرهيب"، عند حديثه عن كتاب البعث وأهوال يوم القيامة، حيث خُصِّصَ فصل منه "للنفخ في الصّور وقيام السّاعة"، وهو حديث منكر بالنّسبة لمؤلّف الكتاب والحديث كالآتي: "عن عبد الله بن الحارث قال: كنتُ عندَ عائشَةَ وعندها كعبُ الأحْبارِ، فذكر اسْرافيل، فقالتّ عائشَةُ: يا كعبُ! أخْبِرني عن إسرافيل؟ فقال كعبٌ: عندكم العلم. قالتّ: أجَلْ أخبرني. قال: لهُ أرْبعةُ أجْنِحَة: جَناحان في الهواءِ وجناحٌ قد تَسرْبَل بِه، وجناحٌ على كاهِلِه، [والعرشُ على كاهله] والقلَمُ على أُذْنِهِ، فإذا نَزلَ الوحيُ كتبَ القَلمُ ثمَّ دَرَسَتِ الملائكَةُ؛ وملَكُ الصّورِ جاثٍ على إحْدى رُكْبَتَيْهِ، وقد نصَب الأُخْرى فالتّقَم الصّورَ مَحنيٌّ ظَهْرُه، [شاخصٌ بصرُه إلى إسرافيلُ] وقد أُمِرَ إذا رأى إسْرافيلَ قد

ضَمَّ جناحَهُ أنْ يَنْفُخَ في الصّور. فقالتّ عائشةُ: هكذا سمعتُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم يقول. (الألباني ج2 ص409).

6. تحليل الآيات والجدول: بعد الفراغ من استعراض أهم الآراء المناقشة لموضوع النّفخ في الصّور، يَأتي الدّور على تحليل الآيات التي جاء فيها ذكر النّفخ في الصّور حسب الجدول السّابق، والتّركيز سيكون على ما يأتي بعد النّفخ في الصّور حسب بنيّة الآيات، أي التّركيز على المآل، والذي جاء كالآتي: يوم ينفخ في الصّور = عالم الغيب والشّهادة وهو الحكيم الخبير. نفخة واحدة . ذلك يوم الوعيد . ففزع من في السّماوات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله وكل آتوه داخرين . فصعق من في السّماوات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله ثمّ نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون . فإذا هم من الأجداث إلى ربّهم ينسلون - فتأتون أفواجا -فجمعناهم جمعا- فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون . ونحشر المجرمين يومئذ زرقا.

فهذا حديث واضح عن الخلق والبعث، فالله هو الخالق وهو من له الملك يوم القيامة فهو عالم الغيب والشّهادة وهو الحكيم الخبير يوم ينفخ في الصّور. فهنالك حديث حسب سياق الآيات عن النّفخة الواحدة فهي عبارة عن إيذان ببداية يوم الوعيد الذي يفزع فيه من في السّماوات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله. لتأتي بعدها مرحلة الصّعق التي يُصعقُ فيها من في السّماوات ومن في الأرض إلاّ من شاء الله. فما يلفت الانتباه هنا هو التّركيز على النّفخة الواحدة، وبشكل صريح ظاهر في سورة الحاقّة (نفخةٌ واحدةٌ)، فكيف يتحدّث المفسّرون عن النّفخات الثّلاث، وعلى أي أساس يرتكزون، فالنّفخ في الصّور لا يكون إلاّ بنفخة واحدة حسب ما جاء في القرآن الكريم وبشكل صريح لا تشابه فيه ولا تضمين فيه ولا دلالة باطنة ولا احتمال. ثمّ تأتي المرحلة الثّانيّة والتي تتجسّد انطلاقا ممّا جاء في سورة الزّمر (ونفخ فيه) فكانوا قياما ينظرون، فالنّفخ الواحد كان في الصّور بينما (نفخ فيه) فتعود على الإنسان والله أعلم، فالضّمير جاء بالمذكّر، وبذلك يمكن قراءته على أنّه نُفِخ في الإنسان نفخة أخرى والله أعلم، لأنّ الصّور لمَّا نُفِخَ فيها في المرّة الأولى لم تبق صورا، بل تحوّلت إلى كيانات أي إنسانا، ولذلك جاء الضّمير بالمذكّر حيث يعود على الإنسان أو المخلوق بشكل عام، فتخرج هذه الكيانات والمخلوقات من الأجداث وهي قبورهم حيث كانوا في حالة سكون ولا حركة إلى

الحياة والحركة من جديد، قياما ينظرون، دون أن يتركوا أثرا على ظاهر الأرض، بالرّغم من عددهم الهائل، وهو معنى ينسلون، أي يخرجون دون أن يتركوا أثرا. ليخرج النّاس من سكونهم أفواجا، فيجتمعون جمعا ولا يعرف بعضهم بعضا، فلا أنساب بينهم يومئذ، بل ينقسمون بين مجرم وصالح، فتفرّق بينهما من حيث يعرف المجرمون بسيماهم من خلال لونهم الذي يكون أزرقا والله أعلم.

وبذلك يمكن القول ختاما وتلخيصا لكلّ ما سبق بأنّ النّفخ في الصّور من النّاحيّة اللّغويّة يميل بشكل كبير (والله أعلم) إلى النّفخ في مجموع الصّوَرِ أي "الصّور" هي جمع "صُورة" وهو ما ذهب إليه ابن حجر في شرحه على الحديث السّابق.

ومن بين الملاحظات التي يمكن ابداؤها كذلك والمقال في خاتمته، إنّ أغلبيّة المفسّرين رجّحوا الكفّة على أنّ يكون الصّور هو القرن أو البوق الذي ينفخ فيه إسرافيل، وقد اعتمدوا في ذلك على ما تداولوه من أحاديث نبويّة مع قياسها بمختلف آيات القرآن الكريم التي ورد فيها اللّفظ، والتي تصوّر يوم البعث، فمسارهم بذلك نقلي غير مخالف لما قال به السّلف. في حين ذهب من قالوا بأنّ (الصّور) هي جمع (صورة) إلى القياس اللّغوي، وإلى ما سمعوه من قراءات لبعض مشايخ الإسلام ومسارهم بذلك نقلي كذلك وعقلي تمحيصيّ أُعْتُمِدَ فيه على تقصّي الحقائق بشكل منطقيّ متطابق مع ما تمليه قواعد اللّغة العربيّة. وهو التّوجّه الذي تشير إليه هذه الرّاسة أي تغليب الرّأي الثّاني على الأوّل.

قائمة المصادر والمراجع:

❖ **القرآن الكريم برواية حفص.**

1) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير. تفسير القرآن العظيم. تحقّق: سامي بن محمّد سلامة دار طيبة للنشر والتّوزيع الطّبعة الثّانيّة 1420هـ-1999م.

2) هبة الله بن الحسن بن منصور الطّبري الرّازي. شرح أصول اعتقاد أهل السّنة والجماعة. تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي. دار طيبة السّعوديّة، 1423هـ / 2003.

3) أبو جعفر النّحَّاس أحمد بن محمّد بن إسماعيل بن يونس المرادي النّحوي. معاني القرآن الكريم تحقيق: محمّد علي الصّابوني جامعة أم القرى مكّة المرمة الطّبعة الأولى1409.

4) أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء. معاني القرآن تحقيق أحمد يوسف نجاتى -محمّد على نجار- عبد الفتاح إسماعيل شلبى. دار المصريّة للتأليف والتّرجمة مصر.

5) أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدّين القرطبي. الجامع لأحكام القرآن تفسير القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصريّة القاهرة الطّبعة الثّانيّة 1384هـ ـ 1964م.

6) أبو محمّد الحسين بن مسعود البغوي. معالم التّنزيل. حققه وخرج أحاديثه: محمّد عبد الله النّمر ـ عثمان جمعة ضميريّة ـ سليمان مسلم الحرش. دار طيبة للنشر والتّوزيع الطّبعة الرّابعة1417هـ ـ1997م.

7) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشّافعي. فتح الباري شرح صحيح البخاري رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمّد فؤاد عبد الباقي قام بإخراجه وصحّحه وأشرف على طبعه: محب الدّين الخطيب دار المعرفة بيروت 1379.

8) الإمام الحافظ أبو محمّد عبد الرّحمن بن أبي حاتم الرّازي. تفسير ابن أبى حاتم. المكتبة العصريّة صيدا تحقيق أسعد محمّد الطّيب.

9) الامام شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبي. سير أعلام النّبلاء. تحقيق: شعيب الارنؤوط. مؤسّسة الرّسالة.

10) الإمام محمّد بن عمر المعروف بفخر الدّين الرّازى. مفاتيح الغيب. دار إحياء التّراث العربي بيروت.

11) سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطّبراني. الأحاديث الطّوال. تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السّلفي. مكتبة الزّهراء الموصل الطّبعة الثّانيّة 1404ـ1983.

12) سيد قطب إبراهيم. في ظلال القرآن. دار الشّروق القاهرة.

13) شهاب الدّين محمود ابن عبد الله الحسيني الآلوسي. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني. تحقيق: على عبد الباري عطيّة. دار الكتب العلميّة بيروت1415هـ.

14) محمّد الطّاهر بن محمّد بن محمّد الطّاهر بن عاشور. التّحرير والتّنوير المعروف بتفسير ابن عاشور. مؤسّسة التّاريخ العربي بيروت لبنان الطّبعة الأولى1420هـ/2000م.

15) محمّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي أبو جعفر الطّبري. جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطّبري). تحقيق: أحمد محمّد شاكر مؤسسة الرّسالة الطّبعة الأولى1420هـ . 2000م.

16) محمّد بن يوسف الشّهير بأبي حيان الأندلسي. تفسير البحر المحيط. تحقيق: صدقي محمّد جميل. دار الفكر بيروت 1420هـ

17) محمّد متولي الشّعراوي. تفسير الشّعراوي. مطابع أخبار اليوم ليس على الكتاب الأصل المطبوع أي بيانات عن رقم الطّبعة أو غيره، غير أنّ رقم الإيداع يوضح أنّه نشر عام 1997 م.

18) محمّد ناصر الدّين الألباني. ضَعيفُ التّرْغِيب وَالتّرْهِيب. مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتّوزيْع الرّياض المملكة العربيّة السّعوديّة. الطّبعة الأولى 1421 هـ-2000 م.